

تفريغ

كي لا تغرق السفينة

أبو العبد أشداء

[[قيادي سابق في الهيئة والمسؤول العام لكتلة حلب المدينة والإداري العام لجيش عمر بن الخطاب سابقا]]

القلم الحر

بسم اللَّه والحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه، قال جلّ وعلا ((وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ))، فلا يكفي أن نكون من الصالحين، بل لا بد كذلك من الإصلاح الذي هو سبيل الأمم التي ترجو النجاة في الدنيا والآخرة.

واليوم وبعد تطور الأوضاع الميدانية، وبعد تجربة طويلة في الإصلاح من داخل هيئة تحرير الشام بالموعظة الشخصية والنصح لقيادة الهيئة خاصة من وقت معارك شرق السكة إلى اليوم، والتي لم تجد آذان صاغية ولا مبالاة من القيادة بالمخاطر المحيطة بالأمة، ولا بالسبل الواجبة لمواجهتها.

ولخطورة الوضع الآن؛ فهذه رسالة مني كجندي في الهيئة لا زلت على رأس عملي كمسؤول عام عن كتلة حلب المدينة وإداري عام لجيش عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه أوجهها لأهل الحل والعقد ولعموم المسلمين؛ كي لا تغرق السفينة.

بداية لا بد أن أوجه تحية شكر وتقدير وإجلال وإكبار للأبطال الميامين فرسان النزال جنود الحق ورجال الإسلام في معارك العز ممن قدموا ويقدمون أرواحهم في سبيل اللَّه سبحانه وتعالى، فأشهد أنهم بذلوا ما في وسعهم ولم يكن الخلل منهم ولا التقصير من جهتهم حسب الإمكانيات التي وضعت بين أيديهم والتجهيزات التي وصلتهم، والمحاور التي فرضت عليهم.

أما عن مشروع الهيئة الأصلي الذي التف الناس حوله وسعى الكثيرون وأنا منهم لإنجاحه، فقد كان هذا المشروع هو إيجاد كيان سني قوي يدافع عن دين ودماء وأعراض المسلمين التي يعمل بشار وحلفاءه على النيل منها، ويكون هذا الكيان عصيًّا على المؤامرات التي تحاك ضدنا.

وقد كان انطلاق مشروع الهيئة مرتبطا بتجربة معركة حلب وتهجير أهلها التي تبين فيها أنه يمكن أن تباع مدينة كحلب مقابل الباب باتفاق بين تركيا وروسيا.

فكان مشروع الهيئة هو إنشاء كيان سني قوي قراره من الداخل، يدافع عن المحرر شاء الداعم أو أبى، وقفت تلك الدول معنا أو ضدنا، لنصل سويّا لعدم ربط مصير الثورة والجهاد بالتفاهمات الدولية.

ولكن تجربة الهيئة بعد قرابة الثلاث سنين من إنشائها؛ تؤكد أنه قد حصل تطور ما في الأداء العسكري، ولكن ظلت النتيجة النهائية مرتبطة بالتفاهمات الإقليمية، ولم تستطع الهيئة رغم توفر كل مقومات النجاح لها على تغيير ذلك، وأنا أؤكد على هذا وأكرر رغم توفر كل مقومات النجاح لها؛ لم تستطع الهيئة تغيير الخضوع للتفاهمات الدولية كنتيجة نهائية.

ففي معركة شرق السكة بيعت المنطقة في أستانا، فلم تستطع قيادة الهيئة بطريقتها التقليدية في إدارة الأزمة على الحفاظ على المنطقة رغم بسالة وشجاعة الجنود وقادتهم الميدانيين، ورغم ما قدمه الجنود وقادتهم الميدانيون من تضحيات عظيمة على أرض المعركة، ثم في المعارك الحالية في كفرنبودة والجبين وما حولها جاء الداعم فصمدت المنطقة، ثم لما جاءت التفاهمات الأستانية الجديدة سقطت الزكاة والأربعين والهبيط ومدايا وتل سكيك وخان شيخون ومورك واللطامنة وكفر زيتة والتمانعة وغير ذلك، فلم تعد هيئة تحرير الشام إلا فصيلا أفضل من غيره من الفصائل، ولكن الهيئة بسبب ما سأذكره من تقصير قيادتها لم تستطع الدفاع عن المحرر والقيام بواجبها في إفشال تلك المخططات.

ومن أهم الأسباب التي أدت لهذه الأزمة:

أولا: لم تعد الهيئة مشروع أمة ولا منهج ولا جماعة ولا تيار، بل استبد بها أشخاص وحولوها لحقل تجارب شخصية، فالشورى عندهم شورى "ما أريكم إلا ما أرى"، وزعمهم أمام الإعلام "فماذا تأمرون"، فأقاموا حكومة ومجالس سورية ومن يخالف رأيهم يتم تهميشه وتسفيهه وتخوينه ومحاربته، وأذكر مثالا واحدا على تلك الشورى الصورية يوم اختيار أعضاء مجلس الفتوى؛ تم دعوة أكثر من مئة شيخ لحضور مؤتمر لانتخاب أعضاء مجلس الفتوى، فقام كل شيخ من المشايخ الحضور بانتخاب من يراه، وكان الأصل أن توجد لجنة فرز تعلن النتيجة مباشرة أو بعد يوم أو حتى بعد يومين، وقد قال لي أحد المشايخ الحضور لم يحترموا حتى عقولنا؛ فالدول الطاغوتية التي تزور الانتخابات تقوم بإخراج النتيجة المزورة فورا، لتكتمل أكذوبة احترام الرأي، أما هنا فالمفاجئة أنه بعد أكثر من شهر تم الإعلان عن مجلس فتوى هو عبارة عن اختيار قيادة الهيئة بمن يريدونهم بلا مبالاة بنتيجة الانتخابات التي دعت لها الهيئة، وأقولها بكل صراحة من أول تأسيس الهيئة كان الجميع متبنيا لمشروعها الذي يحافظ على أهل السنة ويقوي الجهاد ويدفع الظلم ويقيم شرع اللّه في المحرر، أما من سنة تقريبا فنحن نجاهد مع الهيئة لأن دفاع العدو الصائل يكون مع البر والفاجر، ونحاول كذلك الإصلاح الذي يمنعه البعض، وحسبنا اللّه ونعم الوكيل.

ثانيا: لا تزال النظرة السطحية من القيادة للمعركة وعدم إدراك تغيير طبيعة المعركة عند العدو؛ من أهم أسباب ضعف التطوير العسكري، فلم يتم تفعيل حقيقي لعمل خلف خطوط العدو، كقوة مؤثرة تضرب أرتال العدو وتجمعاته ومقراته، ولا أصبح الردع الصاروخي سلاحا أساسيا في المعركة، ولم تهتم القيادة بفتح المحاور المتعددة والإكثار من الإغارات، وأهملت التحصين

والتمويه الشامل، فلم ينفق على ذلك إلا مال يسـير مـن دخـل الهيئـة الكبيـر جـدا، وظل التحصين يعتمد ماليا للأسف الشديد على مـا يـأتي مـن صـدقات المحسـنين الفقراء التي تجمعها الحمـلات الدعويـة مـن داخـل المحـرر، بـل إن قيـادة الهيئـة كانت تعلم قبل شهرين من بدء الحملة الروسـية علـى كفرنبـودة وقلعـة المضـيق أن العدو سيعمل على ذلك المحور تحديـدا، ومـع ذلـك لـم تجهـز العـدة المناسـبة لذلك.

ثالثا: حولت القيادة الهيئـة لمملكـة خاصـة يـتحكم فيهـا أصـدقائهم وأقربـائهم وأصـهارهم ويسـلطونهم علـى أهـم المفاصـل الشـرعية والأمنيـة والاقتصـادية وغيرها، مع تهميش ومعاداة أصـحاب الكفـاءات والخبـرات؛ فأصـبحت الهيئـة كيانـا طاردا للكفاءات، فخرج منها جيش الأحرار وحـراس الـدين وأنصـار التوحيـد وكتائـب الفتح وأنصـار الـدين وغيـرهم، وأصـبح أميرهـا الأول الشـيخ "أبـو جـابر هاشـم الشيخ" خارجهـا، وشـرعيها الأول الشـيخ "أبـو يوسـف الحمـوي" خارجهـا، وأصـبح الإداري الأول الدكتور "أبـو عبـد اللّه الشـامي" خارجهـا، وأصـبح أول رئـيس حكومـة لها وهو الدكتور "محمد الشيخ" بعيدا عنهـا، وأصـبح أول مقـرر لمـؤتمر العـام وأول مؤسس للمقاومة الشعبية وهو الدكتور "فاروق كشـكش" متجنبـا لهـا، وخـرج منهـا كذلك الكثير من الشرعيين والكوادر كالشـيخ "أبـو محمـد الصـادق" والشـيخ "عبـد الـرزاق المهـدي" والشـيخ "أبـو اليقظـان" والشـيخ "المحيسـني" والشـيخ "أبـو شعيب" والشـيخ "مصـلح العليـاني" والشـيخ "البـدراوي" وغيـرهم الكثيـر الـذي لا يتسـع المقـام لـذكره، ولا تقبـل القيـادة إلا بـالولاء التـام لأشخاصـهم وطريقتهم في الإدارة عند ورود شكوة علـى أحـد القيـادة المحسـوبين علـيهم هـي طريقة الكرسي الدوار؛ فأمير المعـابر يصـبح أميـر الاقتصـادية وأميـر الاقتصـادية يصبح أميرا للمعابر وهكذا، ولا بـأس بـأن يتسـلم المـوالي للقيـادة حتـى لـو كـان

غير كفء عشرة مناصب؛ فيكون عضو بالشورى وبالمجلس الشرعي ومجلس الإفتاء والمتابعة والقضاء والشورى والأوقاف ويدرس في الجامعة ويحمل أربع ملفات أخرى غامضة، كذلك لا تتعجب أن يكون مسؤول قطاع الحدود هو نفسه مسؤول جيش عثمان وهو نفسه مسؤول اللواء الغربي وهو نفسه إداري الجيوش العام بل إداري جناح العسكري كاملا وهو كذلك النائب الثاني للقائد العسكري مع عدة ملفات أخرى، ولم يتوقف الفشل الذي نتج عن سياسة القيادة على تطفيش الكوادر والكيانات، بل أصبح كيان الهيئة ينكمش ويتناقص مع الأيام، بل وقلّ فيها كثيرا أبناء المناطق المحررة كإدلب وريفها وريف حلب وريف الساحل، وقد جلست أثناء الحملة مع أبناء إحدى القرى فقالوا لي كنا مع الهيئة سبعين مجاهدا من قدامى المجاهدين والآن أصبحنا مجموعة واحدة فقط، فقد ترك عندنا أكثر من خمسين أخ مجاهد بسبب ضعف المنح وفقر المجاهدين، بل أصبح أكثر عناصر الهيئة حاليا هم من المهجرين الحلبية والحموية والحماصنة ومن دمشق ومن درعا وغيرهم، وهذا يعني الضعف الشديد في الحاضنة التي يهدد بانهيار الهيئة عند تناقص أعداد المهجرين بسبب الاستشهاد والجراحات وبسبب خروج بعضهم من الهيئة لما رأوه من تقصير في حقوقهم، وبل وبلغ من إهمال الأمة والمجتمع والناس أنه رغم الحملة الصليبية الروسية على إدلب منذ أربعة شهور؛ فإنه لم تقم في المحرر حملة حقيقية لتشجيع الناس على النفير للجهاد إلا منذ أيام قليلة بحملة جاهد بنفسك بعد ضغط عدد من الأفاضل على إقامة هذه الحملة، بل أثناء الحملة الشرسة من كان من مجاهدي الهيئة وتركها لأي سبب ثم أراد العودة لصفوفها للمشاركة في القتال تم تعقيد إجراءات رجوعه وتشكل لجان فحص انتهت إلى عدم قبول أكثر من ثلثي تلك الأعداد ورفض مشاركتهم في الجهاد في الوقت التي كنا بأشد الحاجة لهم.

رابعا: الفساد المالي؛ فالهيئة بما جمعته مــن خيــرات المحــرر وبالمئــة مليــون دولار التي وصلتها أول تشكيلها قد تكــون مــن أغنــى الكيانــات التــي مــرت علــى تــاريخ الحركات الإسلامية منذ قرن من الزمن، وكان الأصــل أنــه طالمــا تــم الاســتحواذ علــى موارد المحرر ومعابره واقتصاده وشــرطته وقضــائه فعلــى الهيئــة أيضــا أن تتكفــل بكل احتياجات ثغور رباط المحرر سواء رابطت جنود الهيئــة فــي تلــك الثغــور وهــذا هو الأصل أو رابط غيرهم مــن الفصــائل، فهــذه الفصــائل نــواب عــن الهيئــة فــي رباطهم لأنها هي من تتحمل المسؤولية عــن المحــرر، ولكــن هــذا لــم يحــدث، فــلا تشغل الهيئة إلا ربع رباط المحــرر تقريبــا مــع تقصــيرها فــي تغطيــة احتياجــات هذا الربع كذلك، وظلت الهيئة نفسها من أفقر الفصــائل وظــل جنودهــا مــن أفقــر الناس، وتم كنز كثير من تلك الأموال، وجعلــوا الكــلام فــي موضــوع المــال وحقــوق المجاهــدين خطــا أحمــر يحــارب مــن تكلــم فيــه، وكــان ومــا زال التقتيــر علــى المجاهدين والقطاعات والمفاصل والجيــوش والألويــة هــو السياســة العامــة التــي يحارب بها الإبداع والتطوير، فأينما ذهبت إلى أي مفصل مــن الهيئــة تجــد قلــة مــن المال، وفي كل مرة تزعم الهيئة أنهــم ينفقــون الأمــوال فــي المجــال الفلانــي وفــي كذا وفي كذا ويتبين مع الأيام عدم صــدق ذلــك، فــأين تــذهب تلــك الأمــوال أيــن تذهب تلــك الأمــوال إذا لــم ينفــق المــال فــي الســلاح وعلــى المجاهــدين وعنــد الملاحم وفي صد الحملات الروسية والنصــيرية فمتــى ينفــق، بــل إن دخــل الهيئــة الشهري حاليا يكفي لكل المرابطين في ثغور إدلــب مــن كــل الفصــائل مــع اللــوازم الإدارية لكل رباط المحرر ولمضــاعفة قــوات الهجــوم عــدة أضــعاف ويكفــي كــذلك لكفاية الحكومة بمن فيها من قضاء وشرطة وأمــن، بــل ويضــاف إلــى ذلــك كفايــة الأئمة والخطباء لو وضعت تلك القناطير المقنطــرة مــن المــال بأيــدي أمينــة، وأنــا أضرب مثالا واقعيا بحكم عملي في الهيئــة كــإداري عــام لجــيش عمــر بــن الخطــاب رضي اللّه عنه، فإذا كان عندنا مئــة وخمســين نقطــة ربــاط لكــل نقطــة ثمانيــة أخوة مرابطين يوميا يعني عندنا ألــف ومئتــين مــرابط يوميــا، لــو أعطينــا كــل أخ

مرابط أربعة آلاف يوميا فهذا يعني أنه يكلفنا بالشهر مئتين وخمسة وعشرين ألف دولار، وهكذا يأخذ من يرابط عشرين يوم بالشهر ثمانين ألف، ومن يرابط خمسة عشرة يوم يأخذ ستين ألف، ومن يرابط عشرة أيام يأخذ أربعين ألف، وهذا المبلغ لا يكلف الهيئة شيء فقط مئتين وخمسة وعشرين دولار تكفي المرابطين، ولو قلنا يوجد نفس العدد خلفهم من إداريين وإسناد وعمليات يعني أربعمئة وخمسين ألف دولار شهريا، ولو قلنا ندفع مئتين ألف دولار للجيوش فكل المبلغ الذي يكفي لكل العسكريين في الهيئة ستمئة وخمسين ألف دولار، أي خمسة بالمئة من دخل الهيئة الشهري ووالله ترك الكثير من أبطال الهيئة تركوا الجهاد بسبب عدم توفر أقل الإمكانيات المعيشة في الوقت الذي يأخذ فيه من يعمل بالمعابر وبعض مفاصل الاقتصاد أكثر من مئة وخمسين دولار ومنهم من يأخذ أكثر من مئتين وخمسين دولار أما المرابطون والجيوش فالمئة دولار هي حلم بالنسبة لهم، وحسبنا اللّٰه ونعم الوكيل.

بل أن الهيئة تستطيع أن تكفي جميع عناصر الفصائل المرابطين على جبهات المحرر؛ وهذا واجب عليها وفرض ولا يكلفها شيئا، فمثلا خمسمئة نقطة رباط فيها ثمانية أخوة يعني عندنا أربعة آلاف مرابط يوميا، لو أعطينا كل أخ مرابط أربعة آلاف ليرة تكلفنا بالشهر سبعمئة وخمسين ألف دولار فقط، وكما ذكرت هذا واجب على من استلم كل موارد المحرر خاصة الفصائل التي ليس لها دعم أمثال عمليات وحرض المؤمنين الذين عملوا في التركمان وفتح اللّٰه عليهم بساعة ونصف، ولكن لقلة الإمكانيات اضطروا للانسحاب، ولو قدمت لهم خمس مصفحات فقط أي بمئة ألف دولار لربما كانوا طوروا العمل وخففوا عن جبهة حماة، ولكن للأسف بدل أن تدعمهم القيادة خونهم البعض وإنا للّٰه وإنا إليه راجعون.

ومما يدل على عدم العناية بالمجاهدين أن مصادرات الزنكي بلغت أكثر من عشر مليون دولار، أكثر من ألف ومئة آلية ومستودعات من الذخيرة والأدوية ومستودعات سكر واقتصادية ضخمة، وكلها كنزت ولم يعطى حتى ديات القتلى من المدنيين الذين قتلوا بخطأ، بل حتى الأخوة الذين تأذوا من الزنكي وأخذ الزنكي منهم أموالهم وبيوتهم لأنهم يعملون مع الهيئة لم يتم تعويضهم إلا بعض الحالات على استحياء، رغم أن قيادة الهيئة قد وعدت بتعويض المتضررين ومكافأة المشاركين، ولكن لأن المجاهد ليس له اهتمام عندهم فآثروا كنز الأموال وتركوا المجاهدين فقراء محتاجين.

خامسا: أصبحت عناية قيادة الهيئة في جمع المكوس وجباية الضرائب وأخذ الزكاة والسيطرة على الممتلكات العامة واحتكار التجارات ومصادرة الكثير من دخل المنظمات، فالأصل عندهم أننا في مرحلة ضعف وتدرج فيما يتعلق بإقامة الحدود وتغيير المناهج العلمانية وضبط العلاقات السياسية، أما إن تعلق الأمر بالمال فنحن ممكنون ويجب جمع تلك الأموال فورا وأضعاف مضاعفة وبالطرق الحلال وأحيانا بالطرق الحرام؛ كما تعاملوا مع مهربي الدخان فترة من الزمن وعندما فضح الأمر توقفوا، وكمنع مرافق المريض من السفر مع المرض لتركيا وإذا دفع المرافق ألفين وخمسمئة دولار سفروه كمرافق لمريض آخر.

سادسا: محاربة الشعب في قوته؛ وأذكر أمثلة لذلك: كان هناك قرابة المئة ألف شخص يعملون في مجال المحروقات بين استيراد لها من مناطق أخرى وتكرير وتخزين وبيع، فاحتكرت القيادة المحروقات وأنشأت من مال الجهاد كثير من محطات بيع المحروقات للأهالي، فتضرر أكثر الناس وقعدوا بلا عمل وبعد أن

أخذوا زكاة القمح من المزارعين أجبروهم على بيع المحصول لهم بسعر قليل، ومنعوهم من تصديره، ثم باعوا القمح بمزاد لتاجر واحد ليصدره للنظام، وقاسموا بذلك الفلاح في عمله حيث إن ربحهم يعادل أو يزيد عن ربح الفلاح دون أن يبذلوا أي جهد، وكذلك احتكروا استيراد أكثر البضائع لصالح طائفة محددة من التجار مما يوقع الخسارات على الكثيرين والغلاء على الشعب، بل وقاسموا الفقراء أرزاقهم فحصلوا على نسب كبيرة مما يأتي للمنظمات عبر المعابر، وما يصلوا منه لمجالس الأحياء تأخذوا منه الهيئة كثيرا كذلك.

سابعا: تم تكثيف العمل الأمني المتعلق بكتابة تقارير حتى عن مجاهدي الهيئة ومدى قناعتهم بشخصية القيادة وهل هذا الشخص ينقاد تماما أم قد يفكر ويناقش، وتصنيفهم بناء على ذلك وبل تم سحب كثير من المجاهدين وقت هذه المعركة من المفصل العسكري إلى المفصل الأمني ولا حول ولا قوة إلا بالله، والنبي صل الله عليه وسلم يقول: (إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة)، ورب العزة يقول في الحديث القدسي (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته محرما بينكم فلا تظالموا).

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا ... فالظلم ترجع عقباه إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

وباختصار: فقد ظلمت قيادة الهيئة الجهاد، فلم تقم بواجبها في الإعداد والتخطيط والاستفادة من المقدرات والكوادر، وظلمت المجاهدين عامة ومجاهدي الهيئة خاصة فلم ترعى أمورهم ولم تبالي بحقوقهم ولم تجهزهم وقت المعارك بالعدة الكافية، وظلمت الأمة فتسلطت عليها وأهملت الشورى الواجبة ولم تقم بواجب الدفاع الأكمل عن عامة ثغورها.

إن هذا هو عينة من الفساد الذي عانيناه في المرحلة الأخيرة خاصة بعد إكمال السيطرة على المحرر، وقد نصحنا فيه كثيرا ولكن بلا جدوى، وظهر للكثيرين أنه لا أمل في الإصلاح مع استبداد القيادة بالأمر وأنه لا بد من انتفاضة قوية للإصلاح داخل الهيئة، والله جلّ وعلا يقول لنبيه صل الله عليه وسلم: ((فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ)).

وفي الختام فهذه الكلمات معذرة إلى الله وإبراء للذمة ونصحا للأمة عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا، وعندها ينقلب الحال ونستعيد مناطق وتعلوا كلمة التوحيد فوق حلب وحماة ودمشق بإذن الله جلّ وعلا، والحمد لله رب العالمين.